

نبذة عن حياة المولي المصالح سيدي الحاج بن شرقي

اسمه، أصله و نسبه :

هو محمد و لقبه بن شرقي بن سيدي قدور بن سيدي قويدر بن الحاج لحسن يرتبط نسبه بسيدي أحمد بن عبد الله الذي يقع ضريحه شرقي مدينة الشلف و ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه و سلم.

تاريخ ميلاده :

ولسد الشيخ بتاريخ تقديري 1239 هجرية الموافق لـ 1831 ميلادية ببلدية واد الروينة - زدين - ماتت أمه و هو صغير فتولى أبوه تربيته فحفظ القرآن الكريم على والده برواية ورش ثم حج أبوه الحجة الثانية و مات بالمبقات المقدسة و عمره آنذاك 17 سنة .

تعليمه :

لما اتم حفظ القرآن الكريم جاء به أبوه من قرية زدين و وضعه في أحضان المربي المصالح المعارف بالله الفقيه الشيخ سيدي محمد الفقيه بلعربي و هذا بعد وفاة امه و عزم أبيه على السفر لأداء فريضة الحج فلم يجد في القوم رجلا امينا على ابنه مثل الشيخ الأكبر الفقيه بلعربي فنهل منه العرفان و العلوم و قرأ عليه القرآن بالروايات 21 سلكة. و تآقت نفسه بعد ذلك الى العلم و المعرفة فتتلمذ على يد الشيخ سيدي الحاج جيلالي بن المكي من ابناء عمومته فحفظ متن الشيخ خليل في الفقه و السنوسية في العقائد ثم ساج من مسقط رأسه غربا فساقه القدر الى حيث ضريحه الآن على ضفاف نهر الشلف ببطحاء العطارف، فحل بالمكان الذي كان به الشيخ الذي يتصل نسبه هو الآخر بسيدي أحمد بن عبد الله المذكور سابقا ، فانضم إلى طلبته حيث كان الشيخ يحفظ القرآن على الروايات السبع فختم عليه عشرين ختمة رغم أنه جاء حافظا من قبل .

كان خلالها يخدم شيخه و يقوم بحاجته داخل المنزل و خارجه ، و لصفاء سيرته و حسن سلوكه زوجه إحدى بناته و هي السيدة عودة التي ولدت له علماء أولهم سيدي الحاج محمد المشارف و السيد الحاج بلعربي ،،،، و لما دنا أجل الشيخ الفقيه بلعربي أوصى تلميذه الشيخ بن شرقي على عائلته و أولاده القصّر آنذاك فكان نعم الوصي و الحافظ للوصاية و الرعاية إلى أن بلغوا الرشد و سعى إلى تعليمهم و تفقيهم ثم زوجهم و أفردهم بسكن وحدهم ، و بوصية من شيخه أصبح يشرف على طلبة القرآن الكريم منذ حياة شيخه الذي قدمه على سائر طلبته فكانت وصايته و تقديمه إنفتاحا على أفق آخر ، أفق الأسرار و الأنوار الربانية فذاع صيته في ربوع الأقطار لما كان يتحلى به من الورع و التقى و العفة و الزهد .

فعظمة الشيخ بن شرقي في الزهد و البذل للفقراء و المساكين كانت تملأ الزمان و المكان ، بما لا نظير له في زمنه فما يزيد طعامه و إطعام أهله إلا على ما وجد ما يسد الرمق ، و الملبوس الخشن رغم ما كانت الهدايا تفد عليه من كل ناحية بأنواع الملبوسات الحريرية و الأطعمة الشهية فيحرم نفسه و أهله و يقدمها للأرامل و اليتامى و ذوي العاهات خصوصا في سنين المسغبة .

لقد كان يصوم النهار و يقوم الليل و يفطر على خبز الشعير و يختم القرآن الكريم كله في نضله ليلا كل ليلة ، فلا مكان في حياة المترف عنده و لا مباهجها و لا مكان للقاعات المفروشة و لا للزرابي المبطونة و لا للنمارق المصفوفة و لا للأكواب الموضوعة ، فكان عبدا ربانيا يقف عند الأثر : أزهد ما في أيدي الناس يحبك الناس . فلم يثبت مطلقا أنه كان يزور تلاميذه و أتباعه رغم محاولتهم ذلك .

كان شاذلي الطريقة ، أخذها عن أشياخه الذين عاصروه ، أمثال الشيخ سيدي عدة غلام الله ، و الشيخ الميسوم و الشيخ محمد بن أحمد و كفى بهم من رجال علم الظاهر و الباطن .

مواقفه :

لما جاءت حملة الراهب لفيجري عام 1872 لتمسيح الأهالي و تنصيرهم و شرع في بناء قرية : سان سيبريان - يخصصها للأيتام المتنصرين و اسكنها عائلات منهم و منحهم أراض فلاحية ، شعر الشيخ بالخطر الذي يحدق بالإسلام و المسلمين ففتح الزاوية لإستقبال الفقراء و المساكين و المهاجرين بحثا عما يسد به جوعهم ، فعلم الجاهل و أدخله الجامع مع طلبته لحفظ القرآن الكريم ، و كان إذا جمع الطالب و ألم بشيء من الفقه قال له : أسرع إلى أهلك و إفتح محلا إجمع فيه أبناء قريتك قبل أن يلحقهم التنصير .

و المفضل ما شهدت به الأعداء ، رسالة كتبها راهب هذه القرية إلى رئيسه -لويس- 14- يشكوه الشيخ ليقول له إنني بليت بشخص إسمه بن شرقي كل ما أبنيه بالنهار يهدمه بالليل . و الرسالة هذه وقف عليها المحافظ الوطني لجهة التحرير بعين الدفلى (السيد قاسم عيسى) لما مر على قرية الشيخ بن يحي (سانت مونيك) سابقا قال : كان من المفروض أن تسمى قرية الشيخ بن شرقي لأنه هو الذي حارب حملة التنصير.

و للشيخ بن شرقي مواقف جلية في نشر تعاليم الإسلام فما بناء مسجد العتيق بالعطاف إلا بأمر لما كان يتسوق سوقه يوم الأربعاء و تجمع حوله الجموع الغفيرة فيذاكرهم و يرشدهم فجمع له مرة مقدارا من المال فامتنع من قبوله و أعطاه لأحد الحاضرين و قال له : اشتروا به أمتارا من الأرض في هذا المكان و ابنوا فيه بيتا يصلون فيه المتسوقين و يبيتوا فيه أفضل من العراء ذلك لأن الإستعمار كان يقصد الأسواق و يغري المنكوبين و الفقراء و يجرحهم إلى النصرانية . و هكذا طلب من أتباعه و محبيه أن يسعوا إلى فتح بيت للصلاة و قراءة القرآن في كل من وادي الفضة و العبادية و واد روبينة . وجاء زائر له من تيسمسيلت (فيالار) آنذاك و قدم مقدرا من الذهب (لويز) ليستعين به فسأله الشيخ ما كان معه و قال له ابن بهذا مسجدا ورتب فيه طلبه لتعليم القرآن و الدين ، فكان عند حسن الظن فباع جزءا من أملاكه العقارية ورتب فيه طلبه و شيخا لتعليم القرآن و العلم و أسماه جامع سيدي بن شرقي و هو معروف إلى الآن بهذا الإسم .

كراماته :

أما كرامات الشيخ فهي كثيرة و متواترة لا زريد التعرض لها لأن الشيخ رحمه الله كان يمنع المتحدث بها و كلنا يعلم أن الرسول عليه الصلاة و السلام قال : " إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرههم " .

لقد حاولت فرنسا أن تدفع الشيخ للوقوف إلى صفها بإغرائه ببناء صور يقي الزاوية من فيضانات نهر المشلف في فصل الشتاء و ربط الزاوية بالتيار الكهربائي الذي كان يمر بها فلم يقبل بذلك . وجاءه قسيس "سان سيبريان " يقول له إن فرنسا تطلب منك الأمر أن تساعدك فيما تحتاج إليه فقال الشيخ : أريد المساعدة في قول : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " إشارة إلى وقوفه ضد ما يريدونه من طمس الوطن و مسح الإسلام منه و أنه واقف لهم بالمرصاد .

ومما جاء على لسان أحد مريديه مشيدا بنفحات الشيخ بن شرقي و عطاءاته قائلا :

شيخنا هذا طبيب بـ

 يبـري من كان فيه العيب

يسـقي للمحب حليب

 نظـرته تريـاق

يا من تـرد القـرب

 زور الشـيخ المـربـي

صاحب العلم الوهب

 و أستاذي بن شرقي

و كان للشيخ رحمه الله و رضي عنه و أرضاه مريدوه من كل الجهات منهم علماء بارزون و فقهاء مشهورون أمثال الشيخ سيد الحاج أحمد الفقيه و أخيه السيد الحاج علي و كذا الشيخ البوعبيدي و الشيخ الحياوي و الشيخ سي الحاج الجيلالي عتبة و الشيخ سي بلحاج ببلدية عريب و الشيخ سي بن أحمد ببلدية بوراشد و الشيخ البوعبدلي من بطيوة بالمغرب ، و الشيخ المذاتي من بلدية عين الدفلى ، هذا في المحيط القريب وكان له مريدون في أرجاء واسعة من الوطن في معسكر و شرشال و العاصمة..

آثاره :

أما بالنسبة لآثاره فقد رفض رضي الله عنه أن يقال عنه أو يكتب عنه شيء أيام حياته ، و كثيرا ما كان يقول :و الله لا أملك شيئا و ما أنا إلا واحد من عامة الناس - شأنه في ذلك قول المصالحين القائلين : "و أمرت أن أكون من المسلمين و أن أتلو القرآن " و هذا هو دأبه رحمه الله و رضي عنه.

وفاته :

توفي رحمه الله و رضي عنه في أواخر شهر ديسمبر 1922 ميلادية عن عمر ناهز التسعين أفضاه في خدمة الله و الوطن و عامة الناس خاصة ضعفاؤهم فخلف جيلا من الأتباع المريدين و المحبين و أبناء علماء مكثوا لهذا الدين في هذا البلد الأمين على مر السنين.

فرحمه الله و اسكنه فسيح جناته آمين